وقد فرع على ذلك قطع المحاجة معهم وإعلامهم أن الرسل " عليهم السلام " ما عليهم إلا البلاغ ومنهم محمد A فاحذروا أن تكون عاقبتكم عاقبة أقوام الرسل السالفين . وليس الرسل بمكلفين بإكراه الناس على الإيمان حتى تسلكوا معهم التحكك بهم والإغاظة لهم .

والبلاغ اسم مصدر الإبلاغ . والمبين : الموضح الصريح .

والاستفهام ب ( هل ) إنكاري بمعنى النفي ولذلك جاء الاستثناء عقبه .

والقصر المستفاد من النفي والاستثناء قصر إضافي لقلب اعتقاد المشركين من معاملتهم الرسول A أن للرسول غرضا شخصيا فيما يدعو إليه .

وأثبت الحكم لعموم الرسل " عليهم السلام " وإن كان المردود عليهم لم يخطر ببالهم أمر الرسل الأولين لتكون الجملة تذييلا للمحاجة فتفيد ما هو أعم من المردود .

والكلام موجه إلى النبي A تعليما وتسلية . ويتضمن تعريضا بإبلاغ المشركين .

( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا ا واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى ا ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين [ 36 ] ) عطف على جملة ( كذلك فعل الذين من قبلهم ) . وهو تكملة لإبطال شبهة المشركين إبطالا بطريقة التفصيل بعد الإجمال لزيادة تقرير الحجة فقوله تعالى ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ) بيان لمضمون جملة ( فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ) .

وجملة ( فمنهم من هدى ا ) إلى آخرها بيان لمضمون جملة ( كذلك فعل الذين من قبلهم ) .

والمعنى : أن ا بين للأمم على ألسنة الرسل " عليهم السلام " أنه يأمرهم بعبادته واجتناب عبادة الأصنام فمن كل أمة أقوام هداهم ا فصدقوا وآمنوا ومنهم أقوام تمكنت منهم الضلالة فهلكوا . ومن سار في الأرض رأى دلائل استئصالهم .

و ( أن ) تفسيرية لجملة ( فبعثنا ) لأن البعث يتضمن معنى القول إذ هو بعث للتبليغ .

والطاغوت : جنس ما يعبد من دون ا من الأصنام . وقد يذكرونه بصيغة الجمع فيقال : الطواغيت وهي الأصنام . وتقدم عند قوله تعالى ( يؤمنون بالجبت والطاغوت ) في سورة النساء .

وأسندت هداية بعضهم إلى ا مع أنه أمر جميعهم بالهدى تنبيها للمشركين على إزالة شبهتهم في قولهم ( لو شاء ا ما عبدنا من دونه من شيء ) بأن ا بين لهم الهدى فاهتداء المهتدين بسبب بيانه فهو الهادي لهم .

والتعبير في جانب الضلالة بلفظ ( حقت عليهم ) دون إسناد الإضلال إلى ا إشارة إلى أن

ا لما نهاهم عن الضلالة فقد كان تصميمهم عليها إبقاء لضلالتهم السابقة ( فحقت عليهم الضلالة ) أي ثبتت ولم ترتفع .

وفي ذلك إيماء إلى أن بقاء الضلالة من كسب أنفسهم ولكن ورد في آيات أخرى أن ا يضل الضالين كما في قوله ( ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ) وقوله عقب هذا ( فإن ا لا يهدي من يضل ) على قراءة الجمهور ليحصل من مجموع ذلك علم بأن ا كون أسبابا عديدة بعضها جاء من توالد العقول والأمزجة واقتباس بعضها من بعض وبعضها تابع للدعوات الضالة بحيث تهيأت من اجتماع أمور شتى لا يحصيها إلا ا أسباب تامة تحول بين الضال وبين الهدى . فلا جرم كانت تلك الأسباب هي سبب حق الضلالة عليهم فباعتبار الأسباب المباشرة كان ضلالهم من لدن خالق تلك الأسباب وخالق نواميسها في متقادم العصور فافهم .

استئصال آثار منها فيروا الأمم آثار لينتظروا الأرض في بالسير الأمر ذلك على فرع ثم A E مخالف لأحوال الفناء المعتاد ولذلك كان الاستدلال بها متوقفا على السير في الأرض ولو كان المراد مطلق الفناء لأمرهم بمشاهدة المقابر وذكر السلف الأوائل .

( إن تحرص على هداهم فإن ا لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين [ 37 ] ) استئناف بياني لأن تقسيم كل أمة ضالة إلى مهتد منها وباق على الضلال يثير سؤالا في نفس النبي A عن حال هذه الأمة : أهو جار على حال الأمم التي قبلها أو أن ا يهديهم جميعا . وذلك من حرصه على خبرهم ورأفته بهم فاعلمه ا أنه مع حرصه على هداهم فإنهم سيبقى منهم فريق على ضلالة .

وفي الآية لطيفتان :